حكاية فلسطينية

- ١ -

كان صديقي خالد
ممتلئـا بالحب
كان رقيقا وعنيفا كالنسمة والاعصار
كان معي في هذا البلد يكابد ..
غربتـه ،
مرتقبا سيل النـار
مسكونا بالفعل الحيّ الصامت.
كان يعانق في الصحراء
واحته المنفية خلف جدار باهت
ويحدثني اذ القاه
عن فقدان المعنى والتيه
عن تلك الايام الصفراء
عن موت الانسان الضائع ..
خلف قناع التمويه
عن غضب سوف يجيء
يكنس فينا هذا الفقر المعتم ،
ويضـيء
غرفا في النفس رماديه
كان يواجهني بالبسمه
محتجـا ..
اذ اسمعه بعض الشعر الاسيان.
ـ يـا قيسي
دعنا من هذي السوداويه .
ـ الحزن خميرتنا يا خالد
والحزن سلاح لا يغمد.
نغسل اعماق الروح به ،
نسمـو ، نتجدد
حين يرافقنا في اليقظة والنوم.
يتنفس معنا ، ويشاركنا الخبز.
لا نقدر ان نتجاهل هذي النعمه
يـا خالـد

- ٢ -

كان جريئا في زمن الصمت
لا يخفض هـام الكلمه
لا يرسلها زلفى لامير او حاكم
كان يجل الصدق
يحلم بمدائن تحتضن الانسان
لا تورده الموت .
لكن صديقي خالد
طولب ان يصمت
طولب ان يكسر قلمه
طولب ان يخنق ألمـه
طولب ان يرضى بالامر الواقع.

- ٣ -

أسألكـم.
من يرضى ان يسقط طوعا ؟
من يقدر ان يمنع اما ،
معدمة ، جوعـى
من ان تحمل سيفا
واذا لـزم الامـر.
أن تسرق ثمن حليب الطفل الجائع ؟
طوبى لابي ذر.

- ٤ -

لم يسرق خالد لم يحمل سيفا
لم يقتل يوما نمله
كان صديقا للناس ، محبا للفقراء
لكن الخوف على أمن الدوله
يلزمهم ان لا تبقى الكلمة مسموعه
ان لا يبقى خالد حرا

- ٥ -

فوجيء خالد ذات صباح
بدخول الشرطيّ عليه
يحمل بين يديـه
كومـة اصفاد.
في اليوم التالي

نشرت بعض الصحف اليوميه
أمـر الابعـاد .

ـ ٦ ـ

« ملاحظة ..
في ذلك اليوم ، بكت طفلتـان صغيرتـان ، لان اباهما تأخر عن موعده ، ولم يعـد للبيت .. كانتـا تنتظران ان يحمل لهما حبـا .. وامنـا .. وحلـوى وربما كانتا جائعتين .. »

ـ ٧ ـ

لم أر خالد ذاك اليوم
لكني كنت أرى جبهته ،
سارية في الريح ، مناره
لم يوهنها الابحار
كان الاصرار
مرسوما في عينيه علامه
كان يردد ان الصبح ،
ـ وان طال سيأتي
واحتضن وسامه
ومضـى ..
يبحث عن أرض ،
تطعمه خبزا وكرامه .

ـ ٨ ـ

لا اذكر كم مر من الاعوام
حين تقابلنا أول مرّه
في باحة فندق
وسط دمشق
أذكر كان عناقا
عبر الصمت ، مليئا بالصدق
حيث أعاد الى سمعي الكلمات الحرّه
كان كلانا يبحث في رحلته ،
عـن شاطىء
عن قطعة أرض غالية ،
يسند جبهته المتعبة عليها ،
تطفيء ظمأ الايـام
عن شجر يمنحه الظل
عن بيت دافيء
يؤويه اذا جاء الليل

ـ ٩ ـ

وفتحنا كل شبابيك الجرح

ـ ١٠ ـ

كان تراب الوطن العربيّ
ما زال طريا أخضر
والجثث المقتولة في سيناء ،
وغـزة والجولان
ينهشها الطير ولم تدفن
وتحدثنا في ذاك اليوم ،
عن الآمـال الكذّابه
وعن السفر الثاني ..
وزنود الفتيان الفلاّبه
اذ تلج بجنح الليل
ابواب فلسطين بـلا تصريح
مثـل الريـح
تحمل شارات الصبح .

ـ ١١ ـ

كنا نعبر في الطرقات معا
أحزنني وجـه دمشق
بردى كان بـلا صوت
لاحظت لاول مرّه
أن ملابس خالد كانت كاكيه
لكن فيما بعد عرفت
أن صديقي من زمن ،
يلتزم بتدريبات يوميه
فسرحت ببصري في الصمت .
وتحدث خالد ، فاجأني بسؤاله
ـ ما حال الغربة ، والاصحاب ؟
جالت في أعماقي الكلمات المرّه
. . . . . .
. . . . . .
لكنـي أطرقت .

ـ ١٢ ـ

يا أيام الغربة أعطني اسمي
أعطيني أوراقي ويدي
أعطيني قلمـي
آن لنا أن نفترق الان
آن لهذا القلب المحكوم عليه
أن يرتاد الابعاد
ركضا خلف خلاص موهوم
آن له ان يستقبل فعل المرتقب المحتوم
بعد سنيّ التجوال .
أزهر يا غربة في ارضي الليمون
وامتلأ « المارس » بسنابل معطاءه
وابتهج الفلاحون
أما الفقراء فقد مدّوا أيديهم ،
واحتضنوا قمر الثوره
يا غربة هات يديك
أودعك بهـا كلماتي المرّه
ورنين الزمن الجاحد
اني أرتحل الان
فياضا بالفرح الى خالد .

١٩٧٠

محمد القيسي